روافد الفولكلور الشعبي ووظائفه بغرب إفريقيا

Tributaries of folklore and its functions in West Africa

* أ.عبدالوهاب مهوي
abdelouhab mahoui
،جامعة تامنغست –(الجزائر قسم اللغة والأدب العربي
مخبر المخطوطات الجزائرية في أفريقيا –ادرار–(الجزائر)
University of Tamanghasset- Algeria
Rikawahab58@gmail.com

تاريخ الإرسال:2021/10/29	تاريخ القبول:2021/11/10	تاريخ النشر : 2021/11/30

ملخص البحث

يعتبر التراث الشعبي الإفريقي واحدا من أكثر الأشكال الأدبية المهمة التي تستحق التأمل و الدراسة بإفريقيا وحتى لا تبقى تحت طيات النسيان، ففي خضم الدعوات إلى تطوير الأداب الشفاهية بغرب إفريقيا و تصنيفها تحت عنوان الحداثه ومن دون منهجيه علمية لهذه الحداثه، بل وبنبذ كل ما هو قديم على أنه متخلف، والتوجه إلى الموروث الشعبي المادي لهذه الدول التي نجهل موروثها الشعبي. وتتجلى إشكالية البحث في محاولة تسليط الضوء على الفلكلور بغرب أفريقيا والبحث عن وظائفه.

الكلمات المفتاح :. الموروث، التراث الإفريقي، ، غرب إفريقيا

Abstract : in West African folklore, a historian, storyteller, praise singer, poet, or musician is called a griot. Stories often explain why nature is the way it is with an important moral lesson to learn. West Africans have many tales about a wandering trickster spirit who is associated with change and quarrels. In some stories, he is the messenger between the world and the supreme god. Many West African people refer to the high god .

Key words folklore ، West Africans ، African people

* أ.عبدالوهاب مهوي Rikawahab58@gmail.com

مقدمـة:

يعتبر تراث أية أمة من الأمم دليل وجودها وعراقة ماضيها وسمو حاضرها وأمل مستقبلها ، ولعل التراث الشعبي الإفريقي واحدا من الأشكال الأدبية المهمة التي تستحق التأمل و الدراسـة, حـتى لا تبقـى تحـت طيـات النسـيان، ففـي خضـم الـدعوات إلى تطـوير الأداب الشفاهية بغرب إفريقيا و تصنيفها تحت عنوان الحداثه ومن دون منهجيه علمية لهذه الحداثه، بل وبنبذ كل ما هو قديم على أنه متخلف، والتوجه إلى الموروث الشعبي المادي لهذه الدول التي نجهل موروثها الشعبي.

ولأن الفلكلور أحد دعائم الثقافة الوطنيه بإفريفيا الغربية فشعراء وأدباء القارة معنيون أكثر من أي وقت مضى بالحفاظ عليه وتدوينه ودراسته وتحليله ونشره حتي يأخذ هذا الفن مكانته الخاصة بين الآداب الشعبية العالمية وليساير مكانة هذه الشعوب الأفريقية, والتي انتزعت منها حريتها جراء الإستعمارالأجنبي، حيث أن التعرف على التراث والثقافة الشعبية للقارة والتشبث بكل لوحه وكل رسم وكل لحن يربط شعبها بأرضهم الزاخرة بمختلف أشكال الفلكلور الشعبي لأمر ذو غاية هامة وهي تحرير هذا الشعب من قيود الاضطهاد.

تشير مختلف الدرسات إلى أن الإهتمام بالفولكلور بغرب إفريقيا ليس حديثاً فكتب الرحلات والتاريخ والأدب منذ الأزمنة القديمة وحتى العصور الحديثة غنيّة بالموروث الشعبي بمفهوم الفولكلور الحديث، فمثلا الكاتب المصري علي شلش نقل لنا الكثير من الأساطير والمعتقدات الدينية الإفريقية وغيرها والوثائق العديدة المكتشفة في غرب افريقيا فيها مواد فولكلورية هامة وخاصة، تلك التي تتعلق بالمعتقدات الدينية كالترانيم والاساطير والطلاسم السحرية، وفنون التجميل و الوشم أو الصناعات اليدوية، اضافة الى ظهور بعض المؤلفات العربية القديمة ككتب الرحالة والتاريخ والجغرافية والسّير، حافلة بالحديث عن بعض جوانب الحياة التقليدية لشعوب إفريقيا الغربية.

ولكن هذا الاهتمام، سواء أكان في تدوين المادة الفولكلورية أو فحصها والوقوف على أثرها وأهميتها، م يكن الهدف منه إبراز هذا التراث كجانب مستقل له أهميته الخاصة وإنما فقط للتعريف ببعض الأنواع و الأجناس الأدبية الأفريقية، من أسطورة ،و خرافة و قصة، و رواية، وغيرها.

فمصطلح فولكلور يطلق على جانب معين من الثقافة الإنسانيه كما يطلق أيضاً على العلم الذي يعنى بكل ما يتعلق بهذه الثقافه بدءاً بجمع موادها وانتهاء بدراستها، وعلى الرغم من أن كلمة فولكلور قد مضى عليها أكثر من قرن فليس هناك اتفاق تام على ما تعنيه هذه الكلمه، والفكرة الشائعة في الوقت الحاضر هي أن الفولكلور هو:" التراث، أي أنه شيء انتقل من شخص إلى آخر وحفظ إما عن طريق الذاكرة أو بالممارسه أكثر من الحفظ عن طريق السجل المدون "[1]. وقد يشمل الرقص والأغاني والحكايات وقصص الخوارق والعقائد والخزعبلات ، كما أنه يشمل كذلك دراسة مختلف العادات والممارسات المأثورة والممارسه المنزليه وأنماط الأبنيه وأدوات البيت والظواهر التقليديه للنظام الإجتماعي لشعب معين.

هذا فالقارة الإفريقية، تزخر بالعديد من أشكال التعبير الثقافية قديمها وحديثها نظرا لتنوعها الثقافي والحضاري واللغوي، حيث إن ثقافاتها وتعابيرها تتنوعت وتتمايزت بتنوع جغرافية القارة. ولعل أشهر روافد الفلكلور بغرب إفريقيا نجد:

1- الحكاية الشعبية إذ تعدّ الحكايات الشعبية واحدة من هذه الأشكال التعبيرية القديمة التي ظهرت بغرب افريقيا منذ القدم، حيث تلعب الحكايات الشعبية دورا هاما في الثقافات الإفريقية، حتى أنه يمكن التعرف من خلالها على الهوية الثقافية للشعب الإفريقي فهي بذلك وليدة المجتمعات الإنسانية ونتاج لثقافاتها المختلفة، تثمرها إبداعات الشعوب الإفريقية على مرّ العصور، وتستمدّ أهميتها بما تحمله من خصائص فنية ولذة ثقافية، تفردت بها عن غيرها من ألوان الأدب الشعبي للمنطقة. وتعرف الحكاية الشعبية، "بأنها تلك الأحدوثة التي تتميز بالخيال الشعبي ويتم تناقلها شفويًا من جيل إلى جيل "[2].

وقد اعتاد شعب غرب إفريقيا على تناقل هذه الحكاية للأبناء بواسطة الجد أو الجدة في الجلسات وبخاصة الليلية منها، ويعود أصل الحكاية الشعبية إلى فترات قديمة جدا. فمعروف أن لشعب غرب إفريقيا، تراث غني من هذه الحكايات الشعبية، وأشهرها وأكثرها انتشارا حكايات الحيوانات الماكرة، (ومثالها عند شعوب البانتو في غربي إفريقيا حكايات العنكبوت الأرنب البري. حيث تتميز هذه الحيوانات عندهم، عادة بالحيلة والدهاء تهزم بهما أعداء أكبر منها وأقوى على الرغم من كثرة أخطائها التي تمتع المستمعين وتضحكهم، فمثلا فحين سرقت السلحفاة سلة الحكمة من الآلهة وحاولت الهرب بها مثلا، اعترضتها شجرة لم تستطع تخطيها، لأنها على غفلة من أمرها

علقت السلة في عنقها بدلاً من أن تحملها على ظهرها، وحين عجزت عن انتزاعها من رقبتها تناثرت الحكمة في العالم منذ ذلك الحين.أما العنكبوت في هذه الحكايات فظل شخصية أسطورية، وخصماً عنيدا لإله السماء، يسرق قصصه ويخدعه، وهو بذلك يشبه إيشو إله يوروبا المخادع الذي يعترض الآلهة الآخرين ويعرقل أعمالهم ويعطل نواياهم.)[3]

إلى جانب ذلك، فتمتلك مجتمعات وشعوب غرب إفريقيا وكل قبائلها، حكايات عن الماضي والحاضر، ويتضح من بعض عاداتها وتقاليد شعوبها ومختلف معتقداتهم في جميع مراحل حياتهم، وبهذا فإن الحكاية الشعبية ظلت تجسد ماضيهم ومستقبلهم، كما أنهم يعرفون بها عالم القرى والمدن، والعالم السفلي والعلويحسب اعتقاداتهم.

وتدور هذه الحكايات أيضا حول خلق العالم وأصل الكون،حيث قيل (...ومنبت البشر والحيوانات والحكايات التى تفسر سلوك كل منها، وتوضح السمات الخاصة بكل الكائنات الخرافية، والشخصيات الأسطورية الإفريقية وجوانب الحياة في القارة كالحسد والغيرة بين الزوجات العديدات لزوج واحد وكلها تمثل جانبا مهما من حياتهم ومنها قصص للأطفال عن مضار الكذب. وتمّ تناقل هذه الحكايات عن عدد كبير من اللغات واللهجات الإفريقية المتنوعة، وذلك على ألسنة شعوب وقبائل إفريقيا ما مكّن من معرفة ثقافة كل شعب في هذه القارة)[4].

وكما يُمكّن سماع هذه الحكايات الشعبية المتنوعة، من الأجانب الذين لهم من معرفة ثقافة الأفارقة، لذلك (فهي تعتبر تعبيرا هاما عن الثقافة الإفريقية ،وتعكس الحكايات الشعبية، نظرة الشعوب الغرب إفريقية إلى العالم الخارجي المحيط بها، وتصوراتها حول شتى مظاهر الحياة والموت والفناء، وعن منابع النار، وغيرها من الخيرات والمنافع، فضلا عن الظواهر الطبيعية والنجوم المتلألئة في سمائهم)[5].

فالحكايات الشعبية، بغرب افريقيا أهم وسائل نقل القيم الأخلاقية للأجيال المقبلة فضلا عن كونها، تعبّر عن المكونات الاجتماعية للجماعات المختلفة للأفارقة، فإن هذه الحكايات الشعبية السائدة، تقدم وصفا للتركيبة العرقية والثقافية والطبقات الاجتماعية التي تتناولها، وكما أرشيف ثري يتضمن طرق عيش الأجيال السابقة وتفاعلهم مع محيطهم الطبيعي، الذي يخبر عن نوعية العلاقات بين الأشخاص، بالإضافة إلى أنها تهذب الصغار وتجيب عن تساؤلاتهم الوجودية، كما

تعدّ شكلا من أشكال الهوية، والخصوصية الثقافية للشعوب الإفريقية، وهو ما جعل عديد القوى الغربية تسعى إلى طمس هذه الحكايات.

(وعلى الرغم من التطورات التكنولوجية في القارة السمراء، فإن دور الحكايات الشفهية مازال فعالا بدرجة كبيرة، فالشعوب الإفريقية مولعة بالحكايات الشعبية. وقد أدّت النزعة القومية لدى افارقة الغرب إلى ازدياد اهتمامهم بتراثهم الحضاري، فلم يعد العمل على جمعه ودراسته محصورا على بعض العلماء القادمين من الغرب، بل أضحى الكتّاب الأفارقة منذ ثلاثينات القرن العشرين أفضل كتاب التراث الشعبي الإفريقي.فقد شجعت حركات التحرر الوطني بإفريقيا، على الاهتمام بهذه الحكايات الشعبية كمقدمة للبحث عن هوية وطنية وقومية تميزها، عن باقي الهويات في العالم، لذلك لقيت الحكايات الشعبية اهتماما متزايدا خاصة في السنوات الأخيرة من جانب الباحثين الأفارقة وغيرهم من المهتمين الأجانب. ولذلك فالحكايات الشعبية مختلفة المواضيع فهي أبرز انعكاس للهوية الثقافية في غرب إفريقيا فمن خلالها اصبحنا نتعرف عن ثقافة الأفارقة، مما سيساعد على الحفاظ على ثقافة كاملة لهذه القارة التي تتميز بالثراء الثقافي والحضاري).[6]

2–الأساطير: أن الأسطورة بغرب افريقيا "لا تروي أحداثاً جرت في الماضي وانتهت، وإنما تروي كذلك أحداثاً لا تتحول إلى ماض أبداً. ففعل الخلق الذي تمّ في الأزمنة المقدسة، يتجدد في كل عام ويجدد معه الكون وحياة الإنسان"[7]. ففيها صراع دائم بين قوى الخير وقوى الشر. وحتى تلك الأساطير التي تروي أحداثاً تاريخية مضت فهي في الواقع لا تخفي اهتمامها بالمستقبل.

"ولعل المتتبع للأساطير الأفريقية يحس و يشعر بالمتعة في مطالعتها, و ذلك يعود إلى ما يحفل به الأدب الشعبي الأفريقي من صور الجمال، و ما يتوافر له من عناصر التشويق التي تنفذ إلى قلب القارئ و وجدانه, لأن هذا الأدب يقدم صورة رائعة لا كلفة فيها و لا زخرفة, بل هي مقدمة كما هي على طبيعتها."[8]

يختلف مفهوم الأسطورة باختلاف الباحثين واختصاصاتهم، وأهداف بحوثهم ومرجعياتهم الأساسية ومواقفهم منها كنصوص شفهية أو كممارسة يومية لدى بعض الجماعات المتخلفة تقنيا والمعاصرة بحكم العزلة والبيئة الطبيعية، ومن حيث تقدير دورها في حياة الناس الذين نشأت بينهم أو الذين ورثوها أو الذين استعاروها من غيرهم في ظروف معينة. فالأساطير هي الأحاديث التي لا نظام لها وهي الأباطيل والأحاديث العجيبة، وهي الحكاية التي لا أصل واقعي لها؛ ويعود هذا لما

تتضمنه الأسطورة من خرافات ودلالات لقصص تضمنت ما لا يتصوره العقل البشري. وفيها قيل "أما الأسطورة عند الشعوب البدائية الأفريقية ـ التي لا كتابة ولا تاريخ لها ـ هي تلك الحكايات الشفاهية الغير مدونة والتي تفسر معارف القبيلة، فتستعمل أبنية خيالية بغية توضيح وتفسير بعض المسائل التي يطرحها الناس على أنفسهم، مسوغة بذلك البنى الاجتماعية، داعمة سلطة الرؤساء والكهنة ومؤكدة الصفة الإلهية لدورهم السياسي والاجتماعي"[9].

ونعتقد أن هناك أمورا وحقائق كثيرة، نقشتها الإنسانية، وحنطتها بشكل أو بآخر في بعض الأشكال الأدبية القديمة التي أبت أن تموت، وظلت تشير إلى أحداث قد تبدو لنا خرافات أو أساطير بالمعاني المتقدمة، ولكنها ـ أحيانا تتلون بلون الأساطير الأدبية وتحتفظ بحقائق موحية عن التجربة الإنسانية. فما حوته الكلمات والأشكال الأدبية الإفريقية، يكاد يعادل ما احتفظت به الآثار المادية بالنسبة إلى دارس الحضارات وبقاياها.

ولقد تباينت اعتقادات وثنيو غرب أفريقيا حول الأرض "فمنهم من جعل لها دخلا في تقليد مناصب المسؤولين ومنهم من جعل لها رئيسا أو كاهنا يتصرف فيها، ولو أخذنا بالاعتقاد حولها بصورة سيميائية، لوجدنا أنّهم جعلوا من الأرض كما لو أنها أُماً تحتضنهم وتمدُّهم بالحياة، فالاختلاف لم يقع على الاسم فقط وإنّما تعداه إلى الوظيفة أيضًا. كما توجد آلهة للأنهار والبحر من أمثال بيمادجا عند الفون والغين guin وإله الحرب والرعد عند الاشانتي وينسب الرعد في كل مكان (عند القبائل الأفريقية) إلى إله مخيف هو gua الإله الحداد عند الغان، وهوSo عند الإيفهي وهو هيفي سو عند الألاداو دجيسو عند قبائل الفون الذين يمثلونه بملامح كبش، أو يرمزون إليه ببطلات الرعد، وهي بطلات حجرية من العصر الحديث" [10].

لايقتصر التأليه عند وثني الغرب الأفريقي على الظواهر الطبيعية بل يتعدى ذلك إلى الأمور المعنوية كالخير والشر فعلى سبيل المثال " أدروا عند قبيلة لوكبارا وهي مقسومة بين زائير وأوغندا وأن هذا الإله تراه القبيلة في صورتين الأولى إله أعلى في السماء بعيد عن البشرية وهو إله الخير أما صورته الأخرى أونيرا فهو على الأرض قريب من البشرية يمثل الشر"[11].

تأثرت الأساطير الإفريقية ببعض الحكايات التى دخلتها إبان الاستعمار، لكن لايزال هناك الكثير من أساطيرهم وحكاياتهم لم يتم تسجيلها بعد على ورق، ويبدو أنهم ينقلون مواريثهم الدينية

والأدبية شفهيا بسرية تامة بحيث لا يُسمح لغريب أن يعلم ولو أقل معلومة إلا ما يسمحون له بأن يعرفها.

3–الدين والمعتقدات التقليدية: تضم إفريقيا نوعين من الأديان؛ هما:"الأديان التقليديَّة، والأديان الوافدة التي تضم مجموعة دينية كبيرة، وهناك قاسم مشترك بين الديانات التقليديَّة الإفريقيَّة والديانات الوافدة، وتُعَدُّ في مجملها قَبَلِيَّة في المقام الأول، ومُكَوِّن من مُكَوِّنَات الشعوب ما قبل الاستعمار، والملاحَظ أنه ليست للديانات الإفريقيَّة كُتُب مقدَّسة كتلك التي لدى الوثنيات المشهورة في شبه الجزيرة الهندية أو الطقوس الجنائزية المقدسة لدى الوثنية المصرية؛ فالطقوس أمورٌ متوارثةٌ، وغالبًا ما يُختار القائمون على سدانة الأوثان هناك بالوراثة أو التلبُّس، وهو ما يجعل دراسة الأديان الإفريقيَّة أمرًا ليس باليسير؛ حيث تعتمد جُلّ الدراسات على الملاحظة المباشرة للطقوس.فإذا نظرنا إلى الإحصاءات التي تتناول الجغرافيا الدينية لإفريقيا الغربية ، نجد أن السكان ينقسمون إلى ثلاث فئات، وهي فئة الإحيائيين وفئة المسيحيون وفئة المسلمون"[12]. وهنا تظهر مشكلة التنوع والتعددية الدينية بكل صفاتها وسماتها؛ فالإحيائيون يعتمدون على المظاهر الطبيعية والروحية في تفسير الكون ومصير الإنسان. أما المسيحيون فيعتمدون على قانون الإيمان المسيحي المنبثق من تعاليم الكنيسة الرسولية أو العالمية، غير أنهم في واقع الأمر ليسوا مسيحيين بالمعنى المقصود، على الرغم من أنهم قد شهدوا تطوُّرًا قويًّا خلال السنوات الأخيرة، وبالنظر إلى مجموع إفريقيا جنوب الصحراء، حتى المعمدانية في العالم القروي نلاحظ أن الكثير من المسيحيين يمارسون التقاليد الإحيائية التي تعتمد في الأساس على العادات والتقاليد المحلية على ضوء تنوُّع مفهوم المجتمعات البشرية في غرب القارة السمراء، وقد لعبت بعض هذه المجتمعات دورًا توحيديًّا من خلال فرض النظام والعدالة بناءً على الموروثات الشعبية التقليديَّة.

إن المجموعات الدينية تتعايش مع بعضها البعض بدون إثارة أيّ مشكلات لتناسق مطلوبات الحياة فيما بينهم، وهو الحال في السنغال وبوركينافاسو والكاميرون، فهم يتقاسمون بعض الإحيائية في الاحتفالات الدينية؛ من خلال إيجاد أشكال توافقية كأن تظل الأبرشية (المسيحية) صامتة في معظم الأحيان، و"لا يزال الإيمان بالطبِّ التقليدي يُشكِّل أحد محاور الحياة الأساسية، فالإنجيليون يستخدمون أحيانًا الروح والممارسات الطبية التقليديَّة التي يُعالَج بها عادةً في أوساط الفئة المتأثرة بالنمط الغربي"[13].

وهذا "يشير إلى الارتباط الوثيق بين العبادات التقليديَّة؛ فأتباع الكنيسة في إفريقيا أكثر ميلاً إلى الطقوس الدينية الإفريقيَّة من ممارسات الكنيسة، وهي سمة منتشرة بدءًا من دول المحيط الهندي، بالرغم من انتشار الأبرشيات الإنجيلية والبروتستانتية؛ لكن كثيرًا ما تعتمد على الممارسات البدائية. ويعتقد ان الوثنية من العبارات التي تُطلَق وصفًا لديانات الغرب الإفريقي، وهي مشتقة من اللغة البرتغالية من كلمة (Fetico) التعاويذ الجالبة للحظ و مختلف التمائم، والتي شهدها البرتغاليون في رحلاتهم إلى إفريقيا على صدور وجذوع الأفارقة، ولاحقًا صارت العبارة مستخدَمة لوصف أديان الغرب الإفريقي، وتعني الاعتقاد في أكثر من إله؛ حيث يرى بعض الأنثروبولوجيين أن في إفريقيا أديانًا متسامحة في عقائدها، ويمكنها بسهولة قبول أديان أخرى.

أما عبادة الأسلاف من أهم المعتقدات التقليديَّة في إفريقيا؛ حيث يعتقدون أنه عندما يموت الشخص تنتقل الروح في الكون، ويعتقدون أن علاقتهم مع أسلافهم قوية جدًّا، وأنهم يشعرون بمراقبتهم لهم، وأنهم موجودون حولهم، وأن الموتى انتقلوا من العالم المادِّي إلى عالم روحي دون أن يقطعوا الوشائج بينهم والعلاقة مع الأحياء.

وتعتقد بعض الجماعات أن حياة الشخص هي التي تحدِّد أرواح الأسلاف، فمثلاً قبيلة الأكانا في ترى أن الشخص لكي يصير سلفًا لا بد له من حياة سابقة ذات قيمة وشرف، وأن يكون قدوة حسنة، أما قبيلة اليوروبا فتعتقد أن على المرء أن يموت ميتة حسنة حتى يستطيع أن يدخل إلى عالم الأسلاف، فلا يدخل في الأسلاف من مات بسبب حادثة، أو انتحر، أو مَن مسَّه الجنون أو الجزام، أو الصرع، وعلى ذلك تتشابه الشروط التي تحددها المجموعات الإفريقيَّة حتى يدخل الشخص الميت في نَسَق الأسلاف".[14]

4–الطقوس: الطقوس الافريقية أكثر الأشكال التراثية عناية لما تزخر به من رموز ودلالات فلسفية عامة، ففيها السير الشعبية التي كان حظها اوفر إذا ما قيست بثرائها الفني والفكري وامتلائها بالأحداث والشخصيات المتنوعة ذات الاتجاهات المختلفة. وقد يعود السبب في ذلك إلى طولها المفرط وعدم اتضاح بعض المواقف فيها ، ولذا فإنه من الصعب على أي باحث اختصار مواقفها واحداثها في موقف أو حدث واحد. ومن اشهر طقوس مجتمعات غرب افريقيا:

– السَّدَنَة "الذين هم الوسطاء بين الآلهة وعابديهم، والمترجمون لحاجياتهم، وقادة الطقوس، والذين يقومون بعمل الترانيم الاحتفالية، وتُمَارَس السدانة في المجتمع الإفريقي لأغراض متعددة غير

العبادة، "[15]فهناك سدنة الأوثان وهم الذين يُعَدُّونَ حكماء وأطباء شعبيون وقضاة لأقوامهم، في قبائل اليوربا .والسدانة وظيفة أساسية تجد الاحترام والتقدير عند الوثنيين، وهو أمر مفتوح للرجال والنساء في آنٍ واحد، وغالبًا ما تكون السدانة موروثة من بيت معيَّن في القبيلة، والأشخاص الذين يترشحون لذلك يجب أن يُثبتوا كفاءتهم لذلك. اذ تُعتبر السدانة الوساطة التي تربط البشر مع الآلهة في آنٍ واحد، والسدنة هم الذين يمكن أن يسمعوا للآلهة، ويرفعوا الصلوات للآلهة لكي يقبلوها.يقول علي شلش "وهناك طريقة واحدة لنَيْل هذه الدرجة؛ وهي أن يتلبس الإله أو الروح المعيَّن بالمرشَّح في أثناء أداء الطقوس، ويُعَدُّ هذا التلبس الإذن العملي باختيار الشخص المتلبس ليكون ضمن السدانة إلى إله معين"[16].

أما طقوس الزواج فهي من أهم الطقوس؛ لأنها تعطي للزوجين مكانةً خاصة؛ لأنهما يشكِلان محور عملية العبور، كما يساعدان في وضع المشاركين كأهل وضيوف في مواقع التفاعل الوجداني، وفي هذه الطقوس يهيئ للعروسين تقمُّص أدوار الزوج والزوجة، ومنها تتصل بالعلاقات التي لها علاقة المصاهرة والنسب، وتمارس الطقوس في ترسيخ القيم المشتركة بين الطرفين، ويشكل اللبس عاملاً مهمًّا؛ حيث اللبس الأبيض للعروس دلالة على العفة والشرف، والزي الأسود للرجل تعبيرًا عن السلطة والقوة، وترتبط طقوس الزواج بمناسبات محدَّدة، مثل بداية المواسم أو نهايتها أو الأعياد الدينيَّة، أو الانتقال من وضع اجتماعي إلى آخر.

– و "للحمل والولادة طقوسهما اذ يعتبران من الجوانب المهمَّة في الأديان التقليديَّة، وهو أمرٌ له علاقة بالأسلاف، فالطفل وهو في بطن أمه يُحاطَ بعناية فائقة، ليس فقط من والديه، بل من المجتمع والأقارب؛ حيث نجد بعض القبائل الإفريقيَّة كقبائل (الأكامبا) تُحرِّم الاتصال الجنسي بين الزوجين حال التيقُّن من وقوع الحمل، كما يتَّسع هذا التحريم عند قبيلة (الماو) في ليشمل تحريم الحديث بين الزوجة الحامل وزوجها إلا عبر وسيط، كما تحمل الزوجة بعض الأغذية وتقدمها في الحقول دلالة على الخصوبة. كذلك في عملية الولادة تحدث إجراءات محدَّدة، ويُعتبر الحبل السري والمشيمة التي تربط الأم مع طفلها رمزًا للاتحاد بينهم، خاصة عند قبيلة (الولوف) بالسنغال؛ حيث تقوم المرأة بالقفز فوق نار صغيرة داخل الغرفة في الاتجاهات الأربعة، ثم يُسقَى الطفل من ماء مقدَّس لطرد الأرواح الشريرة والمرض"[17].

– و للموت والجنائز ايضا طقوس خاصة "ففي قبيلة السوكو الساحرة المليئة بالتقاليد الغريبة، والتي تُعتَبر من أهمّ قبائل غرب إفريقيا القديمة، وعندما يموت أحد أفراد تلك القبيلة، خاصةً إذا كان من الكبار وذوي المكانة الرفيعة، فإن جنازته تتم في مكان خالٍ في الغابة، وتُوضَع الهدايا والقرابين، لكن يتم مَنْع النساء من حضور الجنازة. وأيضًا نجد شعب التشيوا الذي يُعتَبر أكبر القبائل البدائية لديهم بعض العادات الغريبة؛ كطريقتهم في التعامل مع الموتى؛ حيث يتم أخذ الجثة بعد الوفاة إلى الغابات لإجراء الطقوس التي تبدأ بقطع حَلق الميت، وإسالة الماء النظيف بداخله لتنظيف الجسد وتطهيره، وذلك من خلال الضغط على المعدة حتى يصل الماء"[18].

وهناك بعض القبائل في غرب افريقيا تقوم بتحريك عظام الميت، وتُعرف هذه الممارسة باسم "الروابط الأسرية، إذ يقومون باستخراج عظام أقربائهم الموتى من مقابر العائلة مرة كل سبع سنوات، وينظِّفونها ويغطونها بملابس جديدة، قبل أن يقوم أقارب المتوفى بالرقص مع الجثة. "[19]

وتعتبر هذه الممارسة إحدى المناسبات العائلية الكبيرة، والتي تتميز بالموسيقى الصاخبة. "وعلى الرغم من أنه يُنْظَر إليها على أنها إحدى الصور المهمة لتبجيل الأسلاف، وما يزال مسموحًا بها، إلا أنها توشك على الانقراض في الوقت الحالي"[20].

ثانيا–وظائف الفولكلور

إن كل نوع من أنواع الفولكلور، بل كل قطعه أدبيه شعبيه، وكل معتقد وكل أسطورة لها وظيفتها المعينة، وقد تكون وظيفة واحدة أو أكثر وقد تشارك معها أشكال أخرى كأمثال وأساطير وحكايات للقيام بنفس الوظيفة، وفهم وظائف الفولكلور يساهم في الكشف عن جوانب كثيرة هامه، فمنه نستطيع أن نعرف أسباب نشأة بعض أشكاله وزوالها وظهور أشكال أخرى بديله، وهذه بعض الوظائف التي يقوم بها الفولكلور في غرب افريقيا.

1–**الوظيفة الجماعيه**: هذه الوظيفة تتضح في إنتماء افراد الشعوب الافريقية إلى جماعة معينه حيث "يشعرون بالإنتماء ويتكيف ذلك تبعاً لإنتمائاتهم وطبيعة بيئتهم، وقد ينتمي الإنسان الواحد إلى أكثر من جماعه واحدة كأن ينتمي إلى الأسرة والعائلة وإلى القرية أو المدينة أو القطر والوطن كذلك. فالفرد في مجتمع غرب افريقيا مثلاً ينتمي إلى الأسرة ثم القبيلة التي يتشارك مع افرادها لهجة معينة ثم القرية فالمدينة وهو غالباً يشعر بإنتمائه الأول أكثر من الثاني والثاني أكثر

من الثالث وهكذا دواليك ، وهذا ينطبق خاصه في الأماكن التي يسود فيها الجهل وتنتشر بها الأميه، ولقد كان الإنتماء القبلي السبب في أحداث كثيرة طمست هوية الفرد الإفريقي بطابع الصراع العنيف في فترات الهيمنة الاستعمارية اذ بقيت أثار جذور تلك الهيمنة لفترة طويله، وهذا ما مكن المستعمرمن إستغلال هذه المسألة و إضعاف مسألة الشعور بالإنتماء إلى الوطن."[21]

ولأن الشعور بالإنتماء إلى جماعة أو أكثر ينعكس في الأدب الشعبي على هوية الفرد الذي يُعَد صورة صادقة عن ذلك التعدد في الإنتماءات ويعكس أشكال العصبيات المختلفة خاصة بهذه القارة .

أن هذا المجتمع الغرب افريقي قام بتوظيف بعضا من أشكال تراثه في نقد الأفعال أو القيم السلوكية لمجتمعه خاصة التي لا تنسجم مع فلسفة الجماعة ومصلحتها فحينما لم تكن الجماعة ترضى عن ظاهرة أو عن نتائج هذه الظاهرة أو حينما تمر بأوضاع اجتماعيه أو سياسيه سيئه تلجأ إلى التعبير عن إستيائها أو رفضها إما بطريقة تقريريه مباشرة في تثبيت القيم والمعارف أو تلجأ الجماعة إلى التعبير عن الأشياء والرفض من خلال أنواع رمزيه ساخرة ومنتقدة وعامله على تصحيح ما ترى أنه شاذ أو منحرف عن فلسفتها التي ارتضتها ومع أبرز أنواع التراث التي تقوم بهذه الوظيفة سواء كانت حكايةالشعبية أو معتقد ديني.

-الوظيفة النفسية والعاطفية:

غالبا ما تلجأ الجماعات الشعبية في غرب إفريقيا إلى تراثها البمختلف الأشكال للتعبر بواسطته عن احوالها النفسية والعاطفية المختلفة فمثلا" حينما تحتفل الجماعة بحدث من الأحداث السعيدة كالزواج والولادة والختان وشفاء المريض وعودة المسافر وبناء البيت وغيرها تعبر عن سعادتها وأفراحها من خلال التراث وكذلك بلجؤ المحبون والعاشقون إلى التراث يبثونه عواطفهم وآمالهم وحينما تنتاب الجماعة الآلام والأحزان فهي تلجأ إلى التراث ايضاً فالموت والشقاء والحرمان والظلم والفراق والغاية دائما التعبيراً عن الأحوال النفسية لمن يصاب بها.[22]

فقد قيل في الغناء والموسيقى "إذا أردت أن تعرف رقي الشعب فاستمع إلى موسيقاه فبالموسيقى يعبر الشعب عن أحواله النفسيه : سعادته كآبته نشاطه وخموله أمله وألمه "[23] وهي كما قال

"بتهوفن" لغة القلب والروح وهما المركز الذي تولد فيه عواطف الفرد التي تجيش بالاستماع إلى الموسيقى فتزيده حزناً إن كانت حزينة وتزيده فرحاً إن كانت مفرحة.

ولعل تنوع الأغاني الشعبية بافريقيا أكثر ما يبدي تعابيراً عن احوال الفرد أو الجماعة عن طريق الرقص والموسيقى وذلك لسهولة أدائها، ففي حالتي البهجة والألم تلجأ الجماعة إلى الغناء "فالأم تناجي وليدها أو أحد أقربائها بالغناء والجماعة تحتفل بوداع الحجاج واستقبالهم بالغناء والزغاريد والمحب في نشوته أو ألمه أو شوقه يعبر عن نفسه بالغناء والمرأةالمظلومة تغني لنفسها شاكية ونادبة حظها وتختلف أسماء والحان ومعاني وأشكال الأمثلة على بعض حالات المرء أو الجماعة التي تعبر عن أحوالها النفسية بها"[24]. وكذلك من صور ذلك ابتلا الفرد بالتشرد والفرقة والهجرة إلى الخارج بحثاً عن العمل وما نجم عن ذلك من آثار ومصاعب حياتية ونفسية قد تترك تعبيراته المؤلمه ايضاً في أغانيه الشعبيه .

إن إحياء أو تطوير الفولكلور أو التراث الشعبي بالمعنى الدقيق غير ممكن من عدة جهات ، فالإحياء والتطوير يأتي نتيجة تخطيط وسياسة واعية من قبل أفراد هذه الفئة المعنية وما يحيى أو يصنع بهذه الطريقة فهو ليس فولكلور لأنه ادب رسمي وليس شعبي ولا يختلف عن أي شيء مؤلف أو مبتكر فهو ليس فولكلوراً في لحظة طرحه ولكن الزمن فقط من سيحكم فيما إذا كانهذ الشعب الافريقي سيتبنى بعضاً منه أو كله ويجعله بعد اجتراره وهضمه وامتصاصه جزءاً من تراثه الشعبي او غير ذلك .

لذالا فلا يمكن إحياء الفولكلور الميت وإعادته إلى فولكلور حي بل يستطيع أبناء هذا المجتمع أن يتعرفو على تراث أجدادهم وحتي يتمكنو من معرفة ماضيهم و جذورهم .

خاتمـــــة

سيظل الفلكلور بغرب افريقيا محتفظاً بعلو منزلته وسمو مكانته وثراء قيمه، وما كان لجذوته أن تخبو إذا تعامل معه من يحسن بعثه ويجيد استثماره، ويقصد معالم القوة فيه ومكامن الغنى والإشراق، لأن التراث إذا جنبناه الإفراط والتفريط، ونظرنا إليه بعين الاعتدال ، وربطناه بالحاضر أمكننا أن نرى فيه أشياء جديدة، ووظائف وقيماً غير التي ارتبطت به في القديم، ونحن كباحثين لا نستطيع تطوير الفولكلور الشعبي بمعنى خلق فولكلور جديد بل نستطيع أن نستوحي أو

نستلهم التراث الشعبي في خلق عناصر أو مواد ثقافية جديدة وقد يصبح قسم منها على مر الأجيال تراثاً شعبيا مكتمل المواصفات من ما سبق كله نستنتج:

– الفلكلور بأفريقيا ينم عن حضور التراث الشعبي في جانبه الأسطوري في الشعر العربي المعاصر.

– على كل باحث نقل معتقدات الافرقة دون الإخلال بنظامها ودون إسقاط أحد شروطها ولوازمها، مع ذكر كل التفاصيل المتعلقة بها سواء من حيث التوقيت والزمن.

–المصادر والمراجع

1– إبراهيم . نبيلة .(1981) أشكال التعبير في الأدب الشعبي . دار المعارف،ص22

2– مرسي . أحمد . (1995). مقدمة في الفولكلور . عين للدراساتوالبحوث الانسانية والاجتماعية،ص08

3–– نبيلة إبراهيم: الإنسان والزمن في التراث الشعبي، مجلة الأقلام، بغداد أيار 1976، العدد 8، ص24.

4–: شوقي عبد الحكيم: موسوعة الفلكلور والأساطير العربية، دار العودة، بيروت، ط1، 1982، ص100

5–المرجع نفسه ص 102

6–، برنارد ايفلسن : ميثولوجيا الأبطال والآلهة والوحوش، ترجمة: حنا عبود، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1997، ص.63

7– الحسيني الحسيني معدى. الأساطير النوبية والسودانية. دار كنوز للنشر والتوزيع، (د،ط) القاهرة ، (د،تا)، ص17.

8–المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

9–دريني خشبة: أساطير الحب والجمال عند الإغريق– دار الهلال العدد 171 سنة 1965.ص80

10– آرثر كورتل. قاموس أساطير العالم. (ترجمة سهى الطريحي) دار نينوى للنشر والتوزيع،200 *

11. –آرثر كورتل. *دمشق 2010، ص 215

12– إسماعيل صديق وآخرون، البنية الفكرية لأديان إفريقيا التقليدية، معهد مبارك قسم الله للبحوث، الخرطوم، ط1،2017م، ص.9

13-: الأسطورة –ترجمة جعفر صادق الخليلي- منشورات عويدات- بيروت- ط1- 1981.

14- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار دار المعارف مصر ط4 1959.

15-دريني لخشبة: أساطير الحب والجمال عند الإغريق- دار الهلال العدد 171 سنة 1965.

16- حمدي عبدالرحمن، التعددية وأزمة بناء الدولة في إفريقيا، مركز دراسات المستقبل الإفريقي، القاهرة، ط1، 1996م،ص19

17- مؤنس حسين، أطلس تاريخ الإسلام،الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 198م،ص 134.

18--فردريش فون ديرلاين: الحكاية الخرافية- ترجمة نبيلة إبراهيم دار القلم بيروت، ط1/ 1973ص.38

19-المرجع نفسه ص 55

20- سلجيمان، السلالات البشرية في إفريقيا، مكتبة العالم العربي، القاهرة، ط1، ص.123

21--هربرت ريد: الفن والمجتمع، ترجمة: فارس متري ضاهر دار القلم بيروت ط1 1975ص22

22-هربرت ريد: الفن والمجتمع، ترجمة: فارس متري ضاهر دار القلم بيروت ط1 1975ص21

23- صافي الدين محمد، إفريقيا بين الدول الأوروبية، مكتبة مصر، القاهرة، 1959م، ص 77